أسس المنهج الإسلامي في معاملة أهل الكتاب

د. هانئ محمد المهدي

المدرس بقسم الأديان المقارنة

كلية الدراسات الآسيوية العليا– جامعة الزقازيق

ملخص البحث

يتناول هذا البحث بيان معالم منهج الإسلام في معاملة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فبدأ بتعريف أهل الكتاب، ثم بين أهم معالم المنهج الإسلامي في معاملتهم، **والتي تمثلت في الآتي:**

- التلاقي على القواسم المشتركة للتفاهم والتعاون.
- مناقشة أهل الكتاب بالحسنى لبيان الحق.
- الانتماء إلى الوطن
- التعايش السلمي.
- البر.
- الاحترام والتسامح الديني.
- حرية المعارضة والنصح.
- التكافل والتضامن وحفظ الكرامة.
- التناصر.
- الصبر على أهل الكتاب.
- العدل والمساواة ومنع الظلم.
- توفير الحماية.

(ISSN: 2536 - 9555)

وأعقب ذلك نماذج لتطبيقات عملية تبين مدى التزام المسلمين بهذا المنهج في كل عصر، وذكر ثناء أهل الكتاب على هذا المنهج، وشهاداتهم بحسن تعامل المسلمين معهم على مدى التاريخ.

وكان نتيجة هذا البحث بيان:

أن من طبيعة الدين الإسلامي الانفتاح على الآخرين والتعايش معهم مهما اختلفت عقائدهم ومللهم، وأن مجتمع المسلمين لم يخل في عصر من العصور من وجود المخالفين للمسلمين في العقيدة والدين. وقد تضافرت الأدلة الشرعية على وجوب التعايش مع سائر هؤلاء المخالفين ومعاملتهم بالإحسان. لدرجة أنه صار لغير المسلمين أحكام خاصة في الشريعة الإسلامية عرفت لدى الفقهاء بأحكام وحقوق وواجبات الذميين والمستأمنين(١)، وتنوعت تلك الحقوق ما بين حقوق سياسية، كتوليهم الوظائف في الدولة، وحقوقهم في الانتخاب وحق الترشح للوظائف العامة، وحقوق عامة، كالحرية الدينية وحرية العمل وحرية التعبير عن الرأي، وحقوق خاصة، كحرمة دمائهم وأموالهم ومساكنهم. فصارت تلك الحقوق والأحكام الشرعية من الواجبات التعبدية المفروضة على المسلمين، والتي ينبغي عليهم تطبيقها والالتزام بها.

(١) وتلك الأحكام الخاصة بأهل الكتاب والمستأمنين متناثرة بكثرة في مصنفات فقهاء الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة. ككتاب المبسوط لأبي بكر السرخسي، وكتاب الخراج للإمام يحي بن آدم القرشي، وكتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين الكاساني، وكتاب الأم للإمام الشافعي، وكتاب المغني لابن قدامة، وكتاب المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس.، والسياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية. ومن العلماء من أفرد لأحكام الذميين مصنفات خاصة، ككتاب أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية، وكتاب المذمة في استعمال أهل الذمة للإمام محمد بن علي النقاش وغيرها.

Features of the Islamic Approach in dealing with the People of the Book

By Dr. Hani Muhammad Al-Mahdi

Teacher at the Department of Comparative Religions

Faculty of High Asian Studies

Zagazig University

Abstract

This research addresses the Islamic approach in dealing with the People of the Book, i.e.the Jews and the Christians.It begins with defining the People of the Book, then illustratesthe most important features of the Islamic approach in dealing with those people. These features **include the following:**

- Recognizing the common grounds to achieve understanding and cooperation;
- Discussing with the People of the Book in a good mannerto clarify the truth;
- Belonging to the homeland;
- Peaceful coexistence;
- Beneficence;
- Religious respect and tolerance;

(ISSN: 2536 - 9555)

- Freedom of opposition and giving advice;
- Solidarity, cohesion and dignity preservation;
- Help and support;
- Having patient with the People of the Book;
- Justice, equality and preventing injustice;
- Providing protection.

This was followed by examples of practical applications that show how Muslims are committed to this approach in every era. The research alsoindicated to the praise ofthe People of the Book to this approach, and their testimonies concerning the good treatment of Muslims throughout history.

This research concludes that Islam naturally tends to openness to, and coexistence with, others, regardless of their beliefs and religions. Besides, the researchconfirmsthe fact that the Muslim community has never been without non-Muslims who embrace different beliefs and religions. Islamic *sharīʿah*hasmany proofs that oblige Muslims to co-exist with non-Muslims and treat them in a good manner. It already has special rulingsfor non-Muslims, known to the jurists as the rulings, rights and duties of the *Dhimmis* and *Mustaʾmīn*[2].

[2]The rulings of the People of the Book and the **Mustaʾmīn**are widely mentioned in the compilations of the Hanafi, Shafi'i, Maliki and Hanbali

These rights include political ones such as the right to employ, to vote, to run for public office. There are also public rights, such as religious freedom, work freedom and freedom of opinion expression, along with special rights, such as the sanctity of non-Muslim blood, property and housing. These rights and *sharīʿ*rulings became one of the devotional duties imposed upon Muslims. So, Muslims should implement and abide bythese duties.

jurists such as *Al-Mabsut* by Abu Bakr Al-Sarkhasi, *Al-Kharaj* by Imam Yahya bin Adam Al-Qurashi, *Badaa'i Al-Sanaa'i fiTarteeb* **Al-Shari** ' aby AlaaAl-Din Al-Kasani, *Alom* by Imam al-Shafi'i, *Al-Mughni* by Ibn Qudamah, *Al-MudawanahAlkubrah* by Imam Malik bin Anas,*AS-siyasahAl-shareiah fi 'iislah Alrraei wa Alraeia*by Ibn Taymiyyah.Some scholars have written special compilations to the rulings of the *Dhimmis*, such as the book of *'Ahkam 'Ahl Aldhima*by Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, and *Al-madhimah fi Istiemal 'Ahl Aldhima*by Imam Muhammad bin Ali al-Naqqash etc.

(ISSN: 2536 - 9555)

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه، وبعد.

في كثير من الأحيان تسود نبرة العداء لأهل الكتاب من جانب بعض المسلمين، ويقابلها على الجانب الآخر مشاعر البغض والعداء من جانب بعض أهل الكتاب للمسلمين، ويتشبث هؤلاء وأولئك بعصبيتهم، مما يتسبب في إيجاد الشقاق بين الفريقين، ونثر بذور الفتنة الطائفية.

وكلها في الحقيقة مظاهر للتدين الزائف . من كلا الجانبين . الذي لا يعبر عن الواقع الحقيقي ولا عن سماحة الإسلام، ولا عن حقائق المسيحية المثلى.

فجاءت فكرة هذا البحث "معالم المنهج الإسلامي في معاملة أهل الكتاب" ليدعم بيان الوسائل العملية للتعامل مع أهل الكتاب رجاء تأليف قلوبهم ودعوتهم إلى الحق، أو على الأقل يسهم في إظهار روح التعايش السلمي معهم في المجتمع الواحد.

وأهل الكتاب: هم أصحاب الكتب السماوية (التوراة والإنجيل) المنزلة على كل من نبي الله تعالى موسى وعيسى عليهما السلام، وسمَّى الله تعالى أهل التوراة باليهود وأهل الإنجيل بالنصارى. وجمعهم الله تعالى تحت مسمى أهل الكتاب، فقال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ... الآية} [المائدة: ٦٨]. وتسميتهم بـ"أهل الكتاب" يُعَدُّ تكريما وتشريفا لهم، باعتبارهم أهل علم، وهم بتلك الميزة أقدر من غيرهم على تمييز الحق من الباطل.

وأفرد الله تعالى كل جماعة منهم باسمها، فقال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ...الآية } [المائدة: ١٨].

واليهود نسبة للفعل" هاد" بمعنى تاب ورجع إلى الله تعالى، وأشار القرآن الكريم إلى ذلك، فقال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ

أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا... الآية} [المائدة: ٤٤]، والنصارى نسبة للفعل " نصر" أي ناصروا عيسى عليه السلام، حينما قال: من أنصاري إلى الله، فقال الحواريون نحن أنصار الله. وأشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٥٢]

وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم مجتمعين تحت اسم "أهل الكتاب" واحدا وثلاثين مرة، و جاء ذكرهم منفردين. فذُكر اليهود في القرآن سبع عشرة مرة، منها سبع مرات بلفظة" اليهود" وعشر مرات بلفظة" الذين هادوا"، أما النصارى، فجاء ذكرهم في القرآن الكريم عشر مرات، مرة باسم "الروم" وثماني مرات باسم "النصارى"، ومرة باسم "أهل الإنجيل". فيكون عدد مرات ذكر أهل الكتاب في القرآن تسع وخمسون مرة، أربع مرات منها في السور المكية، وخمس وخمسون مرة منها في السور المدنية. مما يبين أن ذكرهم في المرحلة المكية بقلة يمثل مرحلة التعريف بهم، وعدم الخوض معهم في جدال إلا بالتي هي أحسن، كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... الآية} [العنكبوت: ٤٦.مكية].

ففي المرحلة المكية تحدث القرآن الكريم عن الروم، ونزلت سورة "مريم" للتعريف بطبيعة المسيح عيسى عليه السلام وملابسات مولده. وورد ذكرهم بكثرة في المرحلة المدنية؛ لأنها المرحلة التي تأسست فيها الدولة الإسلامية، واتسمت بالمخالطة والتعامل المباشر مع أهل الكتاب؛ ولهذا كان لا بد من وضع المنهج السليم والواضح في معاملتهم والتعايش معهم.

فما الأسس التي وضعها الإسلام في معاملة أهل الكتاب. هذا ما سيكشف عنه هذا البحث بعون الله تعالى، ونسأل الله التوفيق والسداد.

فنسال الله السداد والتوفيق.

(ISSN: 2536 - 9555)

أسس منهج الإسلام في معاملة أهل الكتاب

الأساس الأول وحدة المصدر

أشار القرآن الكريم إلى وحدة المصدر الذي يستقي منه المسلمون وأهل الكتاب دينهم. قال تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} [الشورى:١٣]

فالتلاقي على الكلمة السواء أو على القواسم المشتركة، كان ذلك من أوائل الأسس التي التقى عليها المسلمون وأهل الكتاب، وتمثل ذلك في بيان وحدة المصدر أو المنبع الذي يستقي منه المسلمون وأهل الكتاب دينهم، فقد أشار القرآن الكريم إلى نصر الروم، وفرح المسلمين لذلك؛ باعتبارهم أصحاب ديانة سماوية مثلهم، كما فرح الكفار من قَبل بنصر الفرس؛ لكونهم وثنيين مثلهم.

قال تعالى"{غُلِبَتِ الرُّومُ* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ* فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}[الروم ٢: ٥].

ومما يبين تطلع المسلمين لنصر الروم آنذاك، وثقتهم في نصر الله عز وجل لأهل الكتاب. مراهنة أبي بكر ﷺ الكفار على غلبة الروم للفرس بعدما فرح الكفار بنصر الفرس أولاً. حيث خرج إليهم أبو بكر الصديق ﷺ، فقال: إن نبينا ﷺ قد أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون، وراهنهم على عشرة قلاص إلى ثلاث سنين، وذلك قبل أن يحرم القمار، فقال له رسول الله ﷺ زدهم في الرهن، واستزادهم في الأجل، فجعل القلاص مائة والأجل تسعة أعوام، وجعل معه أبي بن خلف مثل

ذلك، فلما وقع الأمر على ما أخبر به، أخذ أبو بكر القلاص من ذرية أبي بن خلف. إذ كان قد مات . وجاء بها إلى النبي ﷺ فقال له: تصدق بها[٣].

ومن الأحداث التي بينت أهمية وحد المصدر والمنبع في التلاقي مع أهل الكتاب، ذلك الموقف العظيم الذي سجله التاريخ للنجاشي ملك الحبشة مع المسلمين المهاجرين إلى بلده فارين من اضطهاد قريش لهم، حيث وجههم النبيﷺ إلى الهجرة للحبشة؛ لأن بها ملكا لا يُظلم عنده أحد. فدار هناك حوار بين جعفر بن أبي طالب ﷺ والنجاشي، فاندهش النجاشي وأعجب بحديث جعفر، وكأنه يستمع منه إلى وصايا الإنجيل، مما جعل النجاشي يشير إلى وحدة المصدر والمنبع قائلاً: "يا جعفر!" **إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج عن مشكاة واحدة**". ثم قال النجاشي لعمرو بن العاص . حيث جاء للقبض على المسلمين واستعادتهم إلى قريش: أعبيد هم لكم؟ قال: لا. قال: أفلكم عليهم دَيْن؟ قال: لا. قال: فو الله لا أسلمهم إليكم أبدا ولا يكادون"[٤] فعاش المسلمون مع أهل الكتاب بأرض الحبشة آمنين فرحين بوحدة المنبع والمصدر التي كانت سبباً في نجاتهم من بطش قريش.

وقد مدح النبي ﷺ هذا الموقف للنجاشي حتى إنه ﷺ نعاه لأصحابه. فعن أبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قال نعَى النبيﷺ إلى أَصحَابِهِ النّجَاشِيَّ ثمَّ تقَدَّمَ فصَفُّوا خَلفَهُ فكَبَّرَ أَربَعًا"[٥].

(٣) عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن. نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات– بيروت١٩٨/٣.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث جَعفَرِ بن أبي طَالبٍ وهو حَديثُ أمِّ سلَمَةَ زَوجِ النبي صلى الله عليه وسلم برقم ٢٢٥٥١ نشر: مؤسسة قرطبة– مصر. جزء ٥ صفحة ٢٩٠

(٥) حديث صحيح رواه البخاري باب الصفوف على الجنازة. حديث رقم ١٢٥٥.

(ISSN: 2536 - 9555)

ومن الروايات التي تؤكد التلاقي على وحدة المصدر، لقاء النبي ﷺ بنصراني من أهل نينوى في محنته بالطائف عندما أخرجه أهلها وسلطوا عليه صبيانهم فآذوه، فأتاه هذا الفتى النصراني بقطف من عنب وجرى بينهما حوار خفف عنه بعضا من آلامه ﷺ. تقول الرواية:

"لما توفي أبو طالب، وازداد اضطهاد أهل مكة لرسول الله ﷺ، فعمد لثقيف بالطائف رجاء أن يؤوه، فسلط عليه سادة ثقيف صبيانهم بعدما رفضوا الاستماع إليه، فقعدوا له صفين على طريقه، فلما مر رسول الله ﷺ بين صفيهم جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه، فخلص منهم وقدماه يسيلان الدماء، فعمد إلى حائط من حوائطهم واستظل في ظل شجرة منه وهو مكروب موجع تسيل رجلاه دما، فإذا في الحائط عقبة وشيبة ابنا ربيعة، فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما الله ورسوله، فلما رأياه أرسلا إليه غلاما لهما يدعى عداسا، نصراني من أهل نينوى معه عنب، فلما جاءه عداس. قال: له رسول الله من أي أرض أنت يا عداس؟ قال له عداس: أنا من أهل نينوى. فقال له النبي ﷺ: من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى. فقال له عداس: وما يدريك من يونس بن متى؟! قال له رسول الله ﷺ. وكان لا يحقر أحدا أن يبلغه رسالة ربه. أنا رسول الله، والله تعالى أخبرني خبر يونس بن متى. فلما أخبره بما أوحى الله عز وجل من شأن يونس بن متى خر عداس ساجدا لرسول الله، وجعل يقبل قدميه وهما يسيلان الدماء. فلما أبصر عقبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكنا، فلما أتاهما قالا ما شأنك سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلته بأحد منا؟! قال: هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله إلينا يدعى يونس بن متى[٦].

(٦) أبو بكر البيهقي. دلائل النبوة. نشر: دار الكتب العلمية– دار الريان للتراث– بيروت– القاهرة– ١٤٠٨– ١٩٨٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبدالمعطي قلعجي ٢ /٤١٥. ٤١٦

ولم يكن هذا الفعل من عداس إلا بعد علمه بوحدة المنبع والمصدر الذي يلتقي فيه مع النبي ﷺ.

لذلك علينا نحن أصحاب الشرائع السماوية من مسلمين ونصارى ويهود أن نلتفت إلى وحدة المصدر، ونسلم وجوهنا جميعا إلى السماء، فيكون ذلك سببا في إزالة العداوة والبغضاء من بيننا، وعونا لإيجاد روابط الألفة والمودة بيننا.

علينا أن نفيد من حبل المودة الذي وضعه الله تعالى بين المسلمين وبين أهل الكتاب. فقد مدح الله تعالى النصارى بمودتهم للمسلمين. قال تعالى:" {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} [المائدة:٨٢]

وورود مودة النصارى للمسلمين في القرآن الكريم دليل على بقائها إلى آخر الدهر كأرضية مشتركة للتفاهم والتعاون. وبهجرة النبي ﷺ إلى المدينة تنزلت عليه الآيات التي تؤكد دعوة أهل الكتاب للتلاقي على القواسم المشتركة بينهما، قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٦٤] فها نحن المسلمون ندعو أهل الكتاب إلى الاتحاد والتلاقي على كلمة التوحيد.

الأساس الثاني: مناقشة أهل الكتاب بالحسنى:

نهى القرآن الكريم عن عدم الخوض في مجادلة أهل الكتاب، وإن كان ولا بد من الجدال، فقد شرطه أن يكون بأسلوب حسن يتسم باللين والرفق في إيضاح الحق. قال تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا

(ISSN: 2536 - 9555)

مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت:٤٦].

والجدال بالحسنى أسلوب إلهي في مناقشة المخالفين عامة. فقد أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام بمجادلة فرعون باللين. قال تعالى" {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: ٤٤] وقوله تعالى" {فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى} {وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} [النازعات ١٨: ١٩].

وقد استثنى القرآن الكريم الظالمين من أهل الكتاب من الجدال بالحسنى "إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ" بمعنى: أن الذين يناصبون المسلمين العداء من أهل الكتاب ويؤذونهم، فهم مستثنون من الجدال بالحسنى. وإن كانت هذه الآية نزلت بمكة، إلا إنها إشارة إلى أن بعضا من أهل الكتاب سيظهر منهم العداء والإيذاء مستقبليا، وفي تلك الحالة وجب على المسلمين اتخاذ ما يناسب من الأساليب لمعاملتهم؛ لرد هذا العداء والظلم والانتصار ممن بغى منهم أو غدر، فالظالم ليس علينا أن نجادله بالتي هي أحسن(٧).

ومعلوم أن الاستثناء دائما يكون للقلة. فمن الأخطاء التي يقع فيها بعض المسلمين أنهم يعممون أخطاء القلة المنحرفة المتشددة من أهل الكتاب على سائر أهل الكتاب، فيضعونهم جميعا في حكم واحد، ويتعاملون معهم على أساس أنهم كفرة وأعداء يجب قتالهم والتضييق عليهم، وأن معاملتهم مكروهة.

(٧) ابن تيمية. كتب ورسائل وفتاوى. نشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق:عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ١٠٩/٤، وأبو الحسن بن بطال البكري القرطبي. شرح صحيح البخاري، نشر: مكتبة الرشد- السعودية/الرياض- ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم٣٧٨/١٠.

فهذا الاستثناء في الآية يبين أن عموم أهل الكتاب تجب معاملتهم ومناقشتهم بالحسنى، والالتقاء معهم على الأسس المشتركة التي تؤدي إلى التفاهم والتعاون والتعايش. كما أشارت إليه الآية الكريمة: { وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت: ٤٦] فالذي يحاسبنا ويجازينا هو إله واحد، ونحن له جميعا مطيعون.

كما وجه النبي ﷺ المسلمين إلى اتباع أسلوب المحايدة في مناقشة أهل الكتاب، بعدم تصديقهم أو تكذيبهم؛ حتى لا يثير ذلك ضغائنهم، ويؤدي إلى عداوتهم. فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: "كان أَهْلُ الْكِتابِ يقرؤون التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرانِيَّةِ ويُفَسِّرُونَهَا بِالْعرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلامِ، فقال رسول اللهِ ﷺ: "لا تُصدِّقُوا أَهْلَ الْكِتابِ ولا تُكذِّبُوهُمْ وقُولُوا "آمنَّا باللَّهِ وما أنْزِلَ إِلَيْنَا" الآيَةَ[٨]. حتى إن من المفسرين للآية من ذكر في شرحه: "إن قالوا شرا فقولوا خيرا"[٩].

الأساس الثالث: الانتماء إلى الوطن (المواطنة)

بهجرة المسلمين إلى المدينة، وقدوم النبي ﷺ إليها، واتخاذها عاصمة للدولة الإسلامية، تبدأ مرحلة مخالطة أهل الكتاب ومعاملتهم بشكل مباشر ودائم؛ لذلك كان من أول ما فعله النبي ﷺ في المدينة هو وضع وثيقة تحدد طريقة وطبيعة المعاملة والعلاقات بين سكانها. وقد اشتهرت تلك الوثيقة بين المؤرخين باسم "صحيفة المدينة" حيث بينت حقوق وواجبات جميع سكانها على كافة انتماءاتهم الدينية والقبلية.

---

(٨) حديث صحيح رواه البخاري في "باب لا يُسْأَلُ أَهْلُ الشِّرْكِ عن الشَّهَادَةِ وَغَيْرِهَا" حديث رقم ٢٥٣٨ جزء ٢ صفحة ٩٥٣.

(٩) عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي. تفسير ابن أبي حاتم تفسير، نشر: المكتبة العصرية- صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب ٣٠٢٩/٩. ومحمد بن جرير الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، نشر: دار الفكر- بيروت-٢-١- ١٤٠٥هـ.

(ISSN: 2536 - 9555)

فاستخدم النبي ﷺ مصطلح "الأمة" وهو مصطلح يعتبر جديدًا فريدًا في زمنه، حيث استخدمه ﷺ كمصطلح سياسي يعبر به عن البناء السياسي والاجتماعي الجديد للكيانات القاطنة بالمدينة، والتي بلغت أربعة عشر كيانًا، ذكرها ﷺ كلها باسمها. وعبر عنهم جميعًا بقوله: «إنهم أمة واحدة من دون الناس»(١٠)، ففي هذا التعبير تظهر المساواة في المواطنة وفي الحقوق والواجبات، مع السماح بالتمايز العقدي القائم داخل الإطار القومي السياسي.

ومن التطبيقات العملية لمبدأ المواطنة في الدولة الإسلامية، ما قام به بعض من أهل الكتاب بالمشاركة مع النبي ﷺ في قتال قريش.

ففي معركة أُحُد كان من بين قتلى أُحد يهودياً ومشركاً، فقد قُتل رجل اسمه «قزمان» بعد أن قاتل قتالاً شديداً، وجرح جرحاً بليغاً في المعركة، فلما قال له المسلمون: «أبشر قزمان! قال: بم أبشر، وأنا ما قاتلت إلا على حساب قومي»(١١).

كما قتل رجل يهودي في المعركة يدعى (مُخَيريق)، الذي حاول البعض من قومه أن يمنعوه من الذهاب إلى المعركة بالادعاء أنه يوم سبت، فقال لهم: لا سبت، وحمل سيفه وعُدته، وقال: إن قتلت فمالي لمحمد يصنع به ما يشاء، ثم غدا إلى الحرب فقاتل حتى قتل، فقال رسول الله ﷺ: «مُخيريق خير يهود»(١٢).

---

(١٠) ابن هشام. السيرة النبوية، نشر: دار الجيل– بيروت– ١٤١١، الطبعة: الأولى، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد ٣٢/٣.

(١١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٥٥/٢).

(١٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (٥٥/٢). وذكر الواقدي أنه أسلم واستشهد بأحد. **انظر:** ابن حجر العسقلاني الإصابة في تمييز الصحابة. نشر: دار الجيل– بيروت– ١٤١٢– ١٩٩٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي. جزء ٦ صفحة ٥٧.

وهذا نموذج راقي للمواطنة، فعلى أصحاب الديانات السماوية الاقتداء به وتكريس جهودهم لإرساء مبدأ المواطنة، وإعلاء مصلحة الدولة، فيقوم كل شخص بما عليه من واجبات تجاه وطنه قبل المطالبة بحقوقه، فنعبر جميعا عن مفهوم الأمة الواحدة ذات التعددية الدينية المتآلفة. فإن لم يوحدنا الدين فلتوحدنا المواطنة.

الأساس الرابع: التعايش السلمي

استخدم النبي ﷺ سياسة التعايش، ولم يستعمل أو يطبق سياسة العزل أو الإبادة، فقد أعطانا ﷺ نموذجًا عمليًا لتطبيق سياسة التعايش في المجتمعات المتنوعة دينيا وثقافياً وسياسياً في إقليم واحد، فلا إبادة لأي ثقافة على حساب أخرى، ولا إبادة لدين على حساب آخر، ولا لفصيل على حساب آخر(١٣).

فوضع النبي ﷺ الآليات اللازمة للتعايش السلمي بين الطوائف في المدينة، وفوق هذا نجد القرآن الكريم يدعو إلى تبادل المنافع بين المسلمين وغيرهم وحسن العشرة معهم. قال تعالى: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [المائدة: ٥]. وقد ساعدت تلك الإجراءات على إقرار مبدأ التعايش في دولة الإسلام منذ نشأتها.

وكان النبي ﷺ المثل الأول والأعلى في تحقيق مبدأ التعايش مع أهل الكتاب. فكان يأكل من طعامهم ويقبل هداياهم. فعن جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمَّت شاة مصلية، ثم أهدتها لرسول الله ﷺ، فأخذ رسول الله ﷺ

(١٣) شيخ الإسلام د. محمد طاهر القادري: خطبة المؤتمر الدولي بعنوان: السلام والاندماج وحقوق الإنسان، لندن ٢٠١٠.

(ISSN: 2536 - 9555)

الذراع فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: ارفعوا أيديكم، وأرسل رسول الله ﷺ إلى اليهودية فدعاها، فقال لها: أسممت هذه الشاة؟ قالت اليهودية: من أخبرك؟ قال: أخبرتني هذه في يدي للذراع. قالت: نعم. قال: فما أردت إلى ذلك؟ قالت: قلت إن كان نبيا فلن يضره، وإن لم يكن نبيا استرحنا منه، فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة، واحتجم رسول الله ﷺ على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة(١٤).

ومن تعايشه ﷺ مع أهل الكتاب زواجه منهم، فقد تزوج من صفية بنت حيي بن أخطب اليهودي تكريما لها بعد أن أعتقها؛.ولم يجبرها على ترك دينها، وقد أسلمت وأخلصت له ﷺ(١٥).

فكان من منهجه ﷺ التعايش التام مع أهل الكتاب، لدرجة أنه ﷺ كان يستدين منهم، ويرهن عندهم. فعن عائِشَةَ رضي الله عنها قالت "تُوُفِّيَ رسول اللهِ ﷺ ودِرْعُهُ مرْهُونَةٌ عنْدَ يهُودِيٍّ بِثلَاثِينَ صاعًا من شعِيرٍ"(١٦).

وفي العصر الحديث يُظهر أهل الكتاب والمسلمون في مصر مبدأ التعايش مع بعضهم البعض رافعين شعار "الدين لله والوطن للجميع".

الأساس الخامس: البر

والبر: كلمة جامعة لكل صنوف الخير. وقد نص النبي ﷺ في صحيفة المدينة على البر بأهل الكتاب وغيرهم من المخالفين في الدين، فقال: (وَإِنّ يَهُودَ الأَوْسِ

(١٤) البيهقي. سنن البيهقي الكبرى. "باب من سقى رجلا سما" رقم ١٥٧٨٧نشر: مكتبة دار الباز – مكة المكرمة– ١٤١٤– ١٩٩٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ج. ٨/ ٤٦.
(١٥) انظر صحيح الإمام مسلم. "باب فضيلة إعتاق أمة ثم يتزوجها" رقم ١٣٦٥ج ١٠٤٥/٢.
(١٦) صحيح البخاري في باب: وفاة النبي حديث رقم(٤١٩٧) جزء ٤ صفحة ١٦٢٠

مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ عَلَى مِثْلِ مَا لأَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ مَعَ الْبِرّ الْمَحْضِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ). قال ابن هشام: ويقال مع البر المحسن(١٧).

وجاء بر المسلمين لأهل الكتاب استجابة لأمر الله تعالى، إذ قال:{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: ٨] والآية واضحة في صلتهم وإكرامهم والإحسان إليهم والعدل معهم، مادام لم يكن منهم أذى أو اعتداء.

وقد صنف الإمام البخاري في صحيحه بابا بعنوان "باب الهدية للمشركين. وصدره بالآية السابقة، وروى حديثا عن ابن عمَرَ رضي الله عنهما قال: رأَى عمَرُ حلَّةً على رَجلٍ تبَاعُ، فقال للنَّبِيِّ ﷺ: ابتَعْ هذه الْحلَّةَ تَلبَسْهَا يوم الْجمُعَةِ وإذا جاءَكَ الوَفْدُ، فقال ﷺ: إنما يَلبَسُ هذا من لا خلَاقَ له في الْآخرَةِ. فَأُتِيَ رسول اللهِ ﷺ منها بِحلَلٍ، فَأَرسَلَ إلى عمَرَ منها بِحلَّةٍ، فقال عمَرُ: كَيفَ أَلْبَسهَا وقد قلْتَ فيها ما قلْتَ؟! قال: إني لم أَكْسكَهَا لتَلْبَسَهَا. تَبِيعُهَا أو تكْسُوهَا. فأَرْسَلَ بها عُمرُ إلى أخٍ له من أهْلِ مكَّةَ قبل أنْ يُسْلمَ(١٨).

وعن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قدمت قتيلة بنت العزي بنت أسعد من بني مالك بن حسل على ابنتها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما . وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية . فقدمت على ابنتها بهدايا ضبابا وسمنا وأقطا، فأبت أسماء أن تأخذ منها وتقبل منها وتدخلها منزلها، حتى أرسلت إلى عائشة أن سلي عن هذا رسول الله ﷺ، فأخبرته، فأمرها أن تقبل هداياها وتدخلها منزلها، فأنزل الله عز وجل "لا ينهاكم الله

(١٧) ابن هشام: السيرة النبوية. ٣/ ٣٥.
(١٨) صحيح البخاري "باب الحدية للمشركين. رقم (٢٤٧٦) جزء ٢ صفحة ٩٢٤

(ISSN: 2536 - 9555)

عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم" إلى آخر الآيتين(١٩).

ومن البر بأهل الكتاب أيضا: زيارة مرضاهم، وهذا ما فعله النبي ﷺ مع غلام له يهودي. فعن أنَسٍ رضي الله عنه قال كان غُلامٌ يهُودِيٌّ يخْدُمُ النبي ﷺ، فمَرِضَ فأَتَاهُ النبي ﷺ يعُودُهُ فقَعَدَ عنْدَ رأْسِهِ فقال له: أسْلِمْ. فنَظَرَ إلى أبيه وهو عِنْدهُ، فقال له: أطِعْ أبَا الْقاسمِ! ﷺ فأَسْلَمَ، فخَرَجَ النبي ﷺ وهو يقول: "الْحمْدُ لِلّهِ الذي أنْقَذَهُ من النّارِ"(٢٠).

ومن البر أيضا: احترام جنائزهم والمشاركة في تشييعها. فقد روي أنَّ النبي ﷺ مرَّتْ بهِ جِنازَةٌ فقَامَ، فقيل له: إنّهَا جِنازَةُ يهُودِيٍّ فقال أَلَيْسَتْ نفْسًا؟!"(٢١) وري أيضا عن الشعبي قال: ماتت أم الحارث بن أبي ربيعة، وكانت نصرانية فشيعها أصحاب محمد ﷺ. قال الثوري في بعض الحديث: إنه كان يؤمر أن يمشي أمامها(٢٢).

(١٩) محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين. باب "تفسير سورة الممتحنة" حديث رقم (٣٨٠٤) نشر: دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ٢/ ٥٢٧.

(٢٠) صحيح البخاري. "باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه" حديث رقم (١٢٩٠) ٤٥٥/١.

(٢١) صحيح البخاري "باب من قام لجنازة يهودي" برقم (١٢٤٩، ١٢٥٠) ج ٤٤١/١.

(٢٢) أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، مصنف عبد الرزاق. "باب اتباع المسلم جنازة الكافر" برقم ٩٩٢٦. نشر: المكتب الإسلامي- بيروت- ١٤٠٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ٣٦/٦.

ومن البر أيضا تقديم الهدية لهم. فقد روي عن عبد اللهِ بن عَمرٍو أَنَّهُ ذبَحَ شاةً، فقال: أَهْدَيْتُمْ لِجارِي الْيهُودِيّ، فإِنّي سمعت رسُولَ اللهِ ﷺ يقول: "ما زالَ جبْرِيلُ يوصِينِي بِالْجارِ حتى ظنَنْتُ أَنَّهُ سيُوَرِّثُهُ"(٢٣).

كذلك قَبِل النبي ﷺ الهدايا من أهل الكتاب، فقبل هدية ملك أيلة، حيث أهدى إليه بغْلَةً بيْضَاءَ(٢٤)، وقبل كذلك هدية المقوقس عظيم قبط مصر، حيث أهداه مارية القبطية(٢٥). كذلك قَبِل ﷺ دعوتهم إلى الطعام، فعن أَنَسٍ أَنَّ يَهُودِيًّا دعا النبي صلى الله عليه وسلم إِلى خُبزِ شَعيرٍ وأهالة سَنخَةٍ فأَجَابَهُ"(٢٦).

الأساس السادس: الاحترام والتسامح الدين

أعْلَى النبي ﷺ مبدأ الاحترام بين أبناء الوطن، وعمل على إرساء وتفعيل مكارم الأخلاق في نفوسهم. لتكون التقوى والأخلاق الفاضلة هي أساس التعامل فيما بينهم. قال ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"(٢٧) وأوجب ﷺ على المؤمنين الالتزام . قبل الجميع . بمكارم الأخلاق. فقالﷺ: "وَأَنّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتّقِينَ عَلَى أَحْسَنِ هُدًى وَأَقْوَمِهِ(٢٨). يعني أنه على المؤمنين القيام بما عليهم من حقوق وواجبات في المجتمع بأنسب السبل وأقومها وأفضلها؛ لإظهار القدوة الصالحة والمثال الحسن في الالتزام بأحكام الصحيفة.

(٢٣) صحيح البخاري. "باب الوصاية بالجار" حديث رقم (٥٨٨٦).
(٢٤) صحيح البخاري: "باب خرص التمر" حديث رقم ١٤١١ج ٥٣٩/٢.
(٢٥) ابن هشام: السيرة النبوية ٩/٢.
(٢٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل. حديث رقم (١٣٢٢٤) ٢١٠/٣.
(٢٧) سنن البيهقي. "باب بيان مكارم الأخلاق" حديث رقم ٢٩٥٧١ ١٩١/١٠.
(٢٨) ابن هشام: السيرة النبوية ٢٧١/٢.

(ISSN: 2536 - 9555)

وفوق هذا دعا النبي ﷺ إلى احترام أهل الملل الأخرى واحترام عقائدهم، ومعاقبة من يسيء إليهم، فمنع سب أهل الكتاب ودينهم، ومنع أيضًا سب آلهة الكفار، حتى يعيش الجميع في تسامح وأمان وسلام. فمن تعدى من المسلمين على جماعة أو سب دينها فإنه يعاقب، وذلك بنص القرآن قال تعالى: "{وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: ١٠٨] وهذا يبين أن النبي ﷺ هو أول من أرسى مفهوم "التسامح الديني" ومفهوم حماية الأديان الأخرى، وطبقه في دولته.

فبتشكيل النبي ﷺ المجتمع المدني ذي الوحدة الوطنية، قضى على الاختلافات الدينية بالدعوة إلى حرية الاعتقاد، فقال ﷺ: "وَأَنّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمَيْنِ دِينُهُمْ مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ إلّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنّهُ لَا يُوتِغُ إلّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ"(٢٩). فربط ﷺ بين مكونات نسيج الأمة بصرف النظر عن الاختلاف في الدين. فلم يفرض النبي ﷺ على أحد اعتناق دين الإسلام أو ترك دينه، بل ترك اليهود على دينهم، والكفار على شركهم دون أن يتعدّى أحد على دين أحد.

الأساس السابع: حرية المعارضة والنصح

دعا النبي ﷺ الجميع إلى المعارضة البناءة والتعبير عن الرأي بكل حرية ودون خوف أو تردد، فقال ﷺ: "وَإِنّ بَيْنَهُمْ النّصْحَ وَالنّصِيحَةَ وَالْبِرّ دُونَ الإِثْمِ"(٣٠) وبهذا أظهر ﷺ أن مزية هذه الأمة على غيرها تناصح أفرادها بالأمر بالمعروف

(٢٩) ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٢٧١.

(٣٠) ابن هشام: السيرة النبوية (٢/٢٧١-٢٧٢).

والتناهي عن المنكر والتواصي بالحق والصبر؛ حماية للفرد من الانحراف أو من هواجس النفس وأهوائها ونزغات الشيطان ووساوسه، وإبعادًا للفتن وتحقيقًا للوحدة.

ومن مظاهر حرية معارضة أهل الكتاب للنبي ﷺ ما رواه عبد الله بن سالم عن أبيه عن جده أن زيد بن سعنة. وكان من أحبار اليهود . أتى النبي ﷺ يتقاضاه، فجبذ ثوبه عن منكبه الأيمن، ثم قال: إنكم يا بني عبد المطلب أصحاب مطل، وإني بكم لعارف، قال: فانتهره عمر. فقال له رسول الله ﷺ: يا عمر! أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج. أن تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي. انطلق يا عمر أوفه حقه. أما أنه قد بقي من أجله ثلاث فزده ثلاثين صاعا لتزويرك عليه(٣١). أي لترويعك له.

الأساس الثامن: التكافل والتضامن وحفظ الكرامة

سنّت صحيفة المدينة التكافل والتضامن بين أفراد المجتمع الجديد مهما اختلفت العقائد والأنساب، فذمة الله واحدة. وظهر ذلك في قوله ﷺ: "يَتَعَاقَلُونَ بَيْنَهُمْ وَهُمْ يَفْدُونَ عَانِيَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ وَكُلّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ(٣٢) فتتحمل كل طائفة من الطوائف الممثلة في الصحيفة دفع ديات القتلى فيما بينهم، وكذلك فداء أسراهم بشرط أن يتم ذلك حسب العادات والأعراف السابقة في الجاهلية وغير المتناقضة مع أحكام الإسلام ووفق العدل المتعارف عليه بين المؤمنين؛ وذلك تحقيقًا للعدالة وعدم جور أي فئة على أخرى حين طلب الدية أو الفداء.

كما أكد النبي ﷺ على حفظ كرامة المواطن، وذلك بتحرير أي فرد منتم إلى دولة الإسلام وقع في أسر العدو أو في أسر العوز والحاجة. فقد جاء في الوثيقة:

(٣١) المستدرك على الصحيحين حديث رقم (٢٢٣٣) جزء ٢ صفحة ٣٧.
(٣٢) ابن هشام: السيرة النبوية، (٢/٢٧١).

(ISSN: 2536 - 9555)

(أنه على كل طائفة أن تفدي عانيها (أسيرها) بالمعروف، وأن المؤمنين لا يتركون بينهم مُفرَحًا)[٣٣] (أي مثقلاً بالدين).

الأساس التاسع: التناصر

أقر النبي ﷺ مبدأ التناصر بين المسلمين وبين أهل الكتاب وغيرهم من مواطني المدينة. فقال ﷺ "وَإِنّ بَيْنَهُمْ النّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصّحِيفَةِ وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين"[٣٤].

فعلى أهل المدينة بموجب الكتاب أو الصحيفة المبرمة بينهم أن يكونوا عونًا لبعضهم البعض في النصر على أعدائهم والتصدي لمن يحاربهم. وهنا يقر النبي ﷺ مبدأ الدفاع الجماعي ضد أي عدوان على أي من أهل هذه الصحيفة دون أي تفريق وتمييز على أساس الديانة والقبيلة والنسب. كما أوجب المشاركة بين اليهود والمؤمنين في النفقة وقت الحروب أو عند تعرض المدينة للهجوم.

ويُلاحظ أن النبي ﷺ استخدم لفظة "ينفقون" عندما أشرك اليهود في نفقة الحرب، ولم يُلحظ في صحيفة المدينة استخدام لفظة "الجزية" أو حتى لفظة "أهل الذمة" التي يثيرهما ويشوههما الآن كثير من الإعلاميين المغرضين ـ مع أنه لم يعد لهاتين اللفظتين وجود في الواقع. بغرض إحداث الفتنة وخلخلة الأمن والتعايش السلمي بين المصريين مسلمين وغير مسلمين، فيطلقون على غير المسلمين مصطلح أهل الذمة؛ إنقاصا من شأنهم وإقلالا من حقوقهم ومواطنتهم، وخاصة عندما يقرنونه بفرض الجزية. ذلك المفهوم الذي أساء فهمه بعض من أهل الكتاب والمسلمين.

(٣٣) ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٢٧١

(٣٤) ابن هشام. السييرة ٣/٣٤.

فالنبي ﷺ لم يفرض جزية على أهل الكتاب القاطنين معه في المدينة وعلى سائر أصحاب الصحيفة، باعتبارهم مواطنين، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم. وإنما فرض الجزية على أهل الكتاب (كنصارى نجران، وإيلة وأذرح وجرباء..)، وغيرهم من الذين لم يقطنوا المدينة؛ وذلك لكونهم دخلوا في حماية وأمان المسلمين، وصار على المسلمين واجب حمايتهم من ظلم واضطهاد الروم والفرس.

وفرض الجزية هنا أمر طبيعي صار متعارفا عليه دوليا الآن تحت مسمى "ضريبة الحماية" كما هو الحال من معاهدات الدفاع بين الدول الكبرى القوية والدول الضعيفة، كالمعاهدات التي بين جمهورية الفلبين والولايات المتحدة الأمريكية، وبين اليابان الولايات المتحدة، وبين بعض دول الخليج والولايات المتحدة، حيث تدفع تلك الدول ضريبة لأمريكا نظير الحماية، وغيرها من معاهدات الدفاع المشترك القائمة بين الكثير من الدول الآن[٣٥].

الأساس العاشر: الصبر عليهم والرد على أذاهم بالحسنى.

حث القرآن الكريم المسلمين على الصبر على أهل الكتاب، ورد عدوانهم اللفظي على دين الإسلام برأفة وحلم وعفو وصفح. قال تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: ١٠٩].

(35) http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B9%D8%A7%D9%87%D8%AF%D8%A9_%D8%A7%D9%8%D8%AF%D9%81%D8%A7%D8%B9_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D8%AA%D8%B1%D9%83 .

بتاريخ ٢٣: ١١: ٢٠٢٠. السلعة الواحدة ظهرا.

(ISSN: 2536 - 9555)

كما بين القرآن الكريم أن (ملاطفة الظالمين من أهل الكتاب لن تطفئ نيرانهم أبدا، إذ أن راحتهم الكبرى هي في محو الإسلام وهدم مساجده، ورد الناس قسرا إلى الكنائس والبيع. ومع استبانة هذا القصد السيئ في مسالكهم المعوجة فإن الإسلام لا يعاملهم بالمثل، ولا يوحي لنبيه وأتباعه أن يمحوا آثار الديانات السابقة من الوجود، بل يكتفي أن يطلب من النبي ومن معه الثبات على الحق وعدم التزحزح عنه مهما لاقوا من صعاب. قال تعالى: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: ١٢٠] وعندما تتحول هذه الأحقاد إلى هجوم مسلح، فعلى الإسلام ردها بعنف، وما كان لأحد أن يلومه على ذلك)[٣٦].

الأساس الحادي عشر: العدل والمساواة ومنع الظلم

حرص النبي ﷺ على العدل مع أهل الكتاب ومساواتهم بكافة مواطني الدولة، ومنع الظلم عنه. فقال ﷺ: "ألا من ظلَمَ معَاهِدًا أو انتَقَصَهُ أو كلَّفَهُ فَوقَ طَاقَتهِ أو أخَذَ منه شيئا بغَيْرِ طيبِ نَفسٍ فأَنَا حَجِيجهُ يوم الْقيَامَةِ"[٣٧] رافعا شعار" لهم ما لنا وعليهم ما علينا".

كما كان أهل الكتاب يحتكمون إلى النبي ﷺ ليرفع عنهم الظلم الذي يقع عليهم أحيانا من بعض المسلمين.

(٣٦) الشيخ محمد الغزالي السقا. التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام. نشر دار الكتاب العربي مصر. ص: ٥٩.٦٠.

(٣٧) أبو داود السجستاني. سنن أبي داود، "باب في التشديد في جباية الجزية" حديث رقم (٣٠٥٢) نشر: دار الفكر- بيروت-، الطبعة:، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد٣/١٧٠.

فعن مكحول قال: كان لعمر على رجل من اليهود حق، فأتاه يطلبه فلقيه، فقال له عمر: لا والذي اصطفى محمدا ﷺ على البشر لا أفارقك وأنا أطلبك بشيء. فقال اليهودي: ما اصطفى الله محمدا على البشر. فلطمه عمر. فقال اليهودي: بيني وبينك أبو القاسم. فقال: إن عمر قال لا والذي اصطفى محمدا ﷺ على البشر، قلت له ما اصطفى الله محمدا على البشر فلطمني. فقال ﷺ:" أما أنت يا عمر فأرضه من لطمته". ثم أجاب النبي ﷺ اليهودي بلطف بعد أن طلب من عمر استرضاءه. فقال ﷺ: "بلى يا يهودي سمي الله باسمين سمى بهما أمتي هو السلام، وسمى أمتي المسلمين وهو المؤمن. وسمى أمتي المؤمنين. بلى يا يهودي طلبتم يوما وذخر لنا اليوم لنا وغدا لكم وبعد ذلك للنصارى. بلى يا يهودي أنتم الأولون ونحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بلى إن الجنة محرمة على الأنبياء حتى أدخلها، وهي محرمة على الأمم حتى تدخلها أمتي"(٣٨).

ومن مظاهر العدل مع أهل الكتاب أن النبي ﷺ استعملهم على أرض خيبر عندما طلبوا منه ذلك. فعن عبد اللهِ بن عُمرَ عن رسول اللهِ ﷺ أنَّهُ دفَعَ إلى يهُودِ خيْبَرَ نخْلَ خيْبَرَ وأَرْضَهَا على أنْ يعْتَمِلُوهَا من أمْوَالِهِمْ ولِرَسُولِ اللهِ ﷺ شطْرُ ثمَرِهَا"(٣٩).

بل والأكثر من ذلك أن الوحي نزل ليبرئ يهوديا وقع عليه الظلم. فقد سرق أحد المسلمين، وهو "طعمة بن أبيرق" درعا كانت لقتادة بن النعمان. وكان قتادة قد وضعها في جراب دقيق. فجعل الدقيق يسقط من خرق فيه، وأراد أن يُخفي

(٣٨) أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، المصنف في الأحاديث والآثار. حديث رقم (٣١٨٠٢) نشر: مكتبة الرشد- الرياض- ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت ٣٢٧/٦.

(٣٩) صحيح الإمام مسلم "بابا المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع" رقم ١٥٥١. نشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت-، الطبعة:، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ٣ / ١١٨٧

(ISSN: 2536 - 9555)

آثار جريمته، فأودع الدرع لدى يهودي جاره، فالتُمس الدرع عند طعمة، فلم توجد، وحلف ما أخذها، وما له بها علم، فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها، فقال اليهودي: إن طعمة أودعها عنده، فأنكر ذلك طعمة. واجتمع قوم طعمة وجيرانه ليدافعوا عنه عند النبي ﷺ ويتهمون اليهودي بالسرقة؛ لكونه يهوديا، . وكان عليه السلام قد هم يعذره . وإذا بالوحي ينزل ليبرئ اليهودي من الجدال بالشهادات الباطلة. قال تعالى:{وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا} [النساء: ١٠٧][٤٠].

الأساس الثاني عشر: توفير الحماية لأهل الكتاب

اعتبر النبي ﷺ أهل الكتاب أمة من المؤمنين. فقال ﷺ: «وإن يهود بني عوف أمة من المؤمنين، وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي النّجّارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْف، وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مِثلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمٍ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي الْأَوْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ إلا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنّهُ لا يُوتِغُ إلا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَإِنّ جَفْنَةَ بَطْنٌ مِنْ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ، وَإِنّ لِبَنِي الشّطِيبَةِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ وَإِنّ الْبِرّ دُونَ الإِثْمِ، وَإِنّ مَوَالِيَ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ، وَإِنّ بِطَانَةَ يَهُودَ كَأَنْفُسِهِمْ"[٤١].

فجعل ﷺ حمايتهم حماية واحدة وخصومتهم خصومة واحدة وعداوتهم واحدة، وصلحهم واحد. فهم والمسلمون جماعة واحدة دون تفريق أو تمييز، للمسلمين دينهم، ولأهل الكتاب دينهم، إلا من ظلم وأثم بنقض العهد.

---

(٤٠) أبو الحسن النيسابوري. أسباب النزول ت الحميدان. نشر: دار الإصلاح– الدمام– ١٤١٢هـ– ١٩٩٢، الطبعة: الثانية، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان١/١٨١.

(٤١) ابن هشام. السيرة النبوية: ٣/٣٤.

ويلاحظ أن النبي ﷺ قاس جميع قبائل اليهود على يهود بني عوف، فاعتبر بني عوف نموذجًا في الأمن، والكل يتمتع بالأمن الذي تمتعت به بنو عوف. ويتضح أيضا من هذا النص السابق مدى اهتمام النبي ﷺ بالأقليات الموجودة بدولة المدينة وتمثيلها في الصحيفة، والنص على حقوقها. فذكر القبائل اليهودية العشرة والمتفرعة عنها والمتحالفة معها، ضامنا لهم حقوقهم الاجتماعية والسياسية والدينية، لا فرق بينهم في الحقوق والواجبات وبين الكيانات الكبرى الرئيسية. وجعل الجميع في حماية الكيان السياسي الأعلى.

يُلاحظ كذلك أن النبي ﷺ ذكر اليهود في الوثيقة متفرقين كلا باسم قبيلته، ولم يجعلهم في كتلة واحدة كما فعل مع القبائل العربية المسلمة، حيث جعلها مترابطة برباط الإسلام، فوصفهم بالمؤمنين أو المسلمين، ولم يصف قبائل اليهود، باليهود، ولم يربط قبائل اليهود برباط الدين أو اليهودية، بل فرقهم؛ ليجعل كل فئة منهم مسؤولة عن أفعالها، وتحاسب منفردة، وهذا ما أيده الواقع في السيرة النبوية عند نكثهم العهود، فعاقب النبي ﷺ كل قبيلة على حدة، كما أن القرآن الكريم أشار إلى تلك الحكمة من التعامل معهم منفردين، بكونهم بأسهم بينهم شديد، يقول تعالى: {لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ} [الحشر: ١٤].

وقد شدّد النبي ﷺ على حرمة دماء أهل الكتاب وسائر من في المعاهدة. فعن عبد اللهِ بن عَمرٍو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال من قتَلَ مُعاهَدًا لم يرِحْ رائِحَةَ الجَنَّةِ وإنَّ رِيحهَا تُوجدُ من مسِيرَةِ أَربَعِينَ عامًا"(٤٢).

وطبق النبي ﷺ ذلك تطبيقا عمليا، فمنع ﷺ انتهاك حرمات أهل الكتاب والاعتداء عليهم وعلى ممتلكاتهم.. فعن العِرْبَاضِ بن سارِيَةَ السُّلمِيِّ قال: نَزَلنَا مع

(٤٢) صحيح البخاري ١١٥٥/٣. باب إثْمِ من قتَلَ مُعاهَدًا بِغَيرِ جُرمٍ. حديث رقم (٢٩٩٥).

(ISSN: 2536 - 9555)

النبي ﷺ خَيبَرَ ومَعَهُ من معه من أَصحَابِهِ، وكان صاحِبُ خَيبَرَ رجُلًا مارِدًا مُنكرًا، فَأَقبَلَ إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أَلَكُمْ أنْ تَذبَحُوا حُمُرنَا وَتَأكُلُوا ثمَرَنَا وَتَضرِبُوا نِساءَنَا، فغَضِبَ يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا بن عوْفٍ ارْكبْ فرَسَكَ، ثمَّ نادِ ألا إنَّ الْجنَّةَ لا تحِلُّ إلا لِمؤْمِنٍ، وأَنْ اجْتمِعُوا لِلصّلَاةِ. قال: فاجْتَمَعُوا ثمَّ صلى بهِمْ النبي ﷺ، ثمَّ قام فقال: أيَحْسَبُ أحدكم مُتّكِئًا على أرِيكَتِهِ قد يظُنُّ أنَّ اللّهَ لم يُحرِّمْ شيئا إلا ما في هذا الْقرْآنِ، ألا وإنّي والله قد وعَظْتُ وأَمَرْتُ ونَهَيْتُ عن أشْيَاءَ إنّهَا لمِثْلُ الْقرْآنِ أو أكْثَرُ، وأن اللّهَ عز وجل لم يحِلَّ لكُمْ أنْ تدْخُلُوا بيُوتَ أهْلِ الْكِتابِ إلا بإذْنٍ ولا ضرْبَ نِسائِهِمْ ولا أكْلَ ثِمارِهِمْ إذا أعْطَوْكُمْ الذي عليهم"(٤٣).

كذلك وفَّر النبي ﷺ الحماية لأهل الكتاب من النصارى القاطنين في الجزيرة العربية، وعهد لهم بالأمان على أموالهم وعقائدهم، وكان ﷺ يُكرم وفادتهم حين قدومهم إليه في المدينة. ومن أمثلة ذلك ما كتبه ﷺ لأهل نجران "بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من النبي محمد رسول الله لنجران وحاشيتها..... وعليهم في كل حرب كانت باليمن دروع عارية مضمونة لهم بذلك جوار الله وذمة محمد....ولا يؤخذ أحد بجناية غيره... شهد على ذلك عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وكتب علي بن أبي طالب(٤٤). ولما أتاه أناس من أهل نجران يشتكون إليه عاملهم، فقالﷺ: "لأبعثن عليكم الأمين"(٤٥). ويقصد أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح ﷺ.

(٤٣) أبو داود السجستاني. سنن أبي داود، "باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات" رقم ٣٠٥٠. نشر: دار الفكر– بيروت– تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ١٧٠/٣.

(٤٤) اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي. نشر: دار صادر– بيروت ٨٣/٢.

(٤٥) الحاكم النيسابوري. المستدرك على الصحيحين "ذكر مناقب أبي عبيدة بن الجراح" برقم ٥١٥٦) ٢٩٧/٣.

ولما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ، دخلوا عليه مسجده بعد العصر، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ: "دعوهم"(٤٦).

وهذا الموقف يبين أن الدين الإسلامي لا يعرف التعصب الأعمى، وأنه لا حرج من الاحتفاء بأهل الكتاب المسالمين، كما فعل النبي ﷺ. كما أن أهل الكتاب يبادلون المسلمين نفس المواقف. ففي شهر رمضان من كل عام بمصر، يقيم بابا المسيحيين حفل إفطار لقيادات الدولة من المسلمين بكاتدرائية العباسية، فيحضره شيخ الأزهر ووزير الأوقاف ومفتي الجمهورية، وحين يأتي وقت أذان المغرب، يقوم شيخ الأزهر بإمامة جميع الحاضرين من المسلمين داخل الكاتدرائية في جو تسوده المودة والألفة والوحدة الوطنية.

وكما كتب النبي ﷺ لأهل نجران عهدا بالأمان، كتب أيضا لغيرهم من أهل الكتاب القاطنين في جزيرة العرب؛ ليكونوا في أمان الدولة الإسلامية، وحماية لهم من ظلم هرقل والدولة البيزنطية. ومن ذلك كتابه لأهل "أيلة" "بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة محمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر،.... وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر"(٤٧).

(٤٦) تقى الدين أحمد بن على المقريزى. إمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع. نشر:دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤٢٠-١٩٩٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسى ٦٥/١٤ وابن كثير. السيرة النبوية ١٠٨/٤.
(٤٧) ابن هشام. السيرة النبوية ٢٠٧/٥.

(ISSN: 2536 - 9555)

وكتب ﷺ كذلك لأهل جرباء وأذرح "بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل أذرح أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان إلى المسلمين"(٤٨).

نماذج عملية لأسس المنهج الإسلامي في معاملة أهل الكتاب:

التزم المسلمين بعد النبيﷺ بمنهج الإسلام في معاملة أهل الكتاب، فقد التزم خلفاء النبي ﷺ وحكام المسلمين وأمراؤهم بعهود النبي ﷺ ووصاياه بأهل الكتاب، فصار ذلك سنة متبعة. فهذا **عمر بن الخطاب** ﷺ يكتب لأهل "إيلياء" وأهل "فلسطين" عهودا بالأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم.

"بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم.. أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن،..فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم... وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبدالرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان. وهذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل لُدّ ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم

(٤٨) البيهقي. دلائل النبوة ٥/٢٤٨.

وبريئهم وسائر ملتهم أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا مللها ولا من صلبهم ولا من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم"[٤٩].

والروايات العديدة تبين اتباع عمر بن الخطاب ﷺ نهج النبي ﷺ في الإحسان لأهل الكتاب ورفع الظلم عنهم.، ويكفي أنه ﷺ أوصى بهم وهو على فراش الموت. فعن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال "أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرا، أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم"[٥٠] **وسيدنا علي** ﷺ يؤكد على ذلك بقوله: "إنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا"[٥١].

ولما فتح **عمرو بن العاص** مصر كان الأنبا بنيامين هاربا في الصحراء من اضطهاد الرومان له، إلى أن أعطاه عمرو الأمان فعاد مطمئنا يمارس شعائره الدينية ويدير كنيسته بحرية مطلقة دون تدخل من الحاكم. كما بنى عمرو بن العاص مدينة الفسطاط من زكاة المسلمين ومن ضريبة الجزية التي كانت على المصريين، واستمتع بسكناها المسلمون وأهل الكتاب معاً. ولا يزال مسجد عمرو بن العاص وكنيسة ماري جرجس المعلقة والمعبد اليهودي بمنطقة مجمع الأديان بالفسطاط خير شاهد على التعايش السلمي بين أصحاب الديانات السماوية في مصر[٥٢].

---

(٤٩) الطبري. تاريخ الطبري دار الكتب العلمية– بيروت ٤٤٩/٢.

(٥٠) صحيح البخاري "باب ما جاء في قبر النبي" ق برقم (١٣٢٨) ٤٦٩/١.

(٥١) ابن قدامة المقدسي. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل. نشر: دار الفكر– بيروت– ١٤٠٥، الطبعة: الأولى ٢٨٩/٩.

(٥٢) نبيل لوقا بباوي. حرية العقيدة في الإسلام لغير المسلمين. بحث مقدم للمؤتمر العام السادس عشر سنة ٢٠٠٤م للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. ص:٢٣.

(ISSN: 2536 - 9555)

وكان لأهل الكتاب من المصريين وغيرهم حق التقاضي وشكاية أرفع مسؤول في الدولة، حتى ولو كان الأمير أو الحاكم نفسه.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ جاءه رجل من أهل مصر"، فقال: "يا أمير المؤمنين، هذا مقام العائذ بك"، قال: "وما لك؟"، قال: أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل فأقبلت، فلما ترآها الناس، قام محمد بن عمرو فقال: "فرسي ورب الكعبة، فلما دنا منه عرفته، فقلت: فرسي ورب الكعبة، فقام إلي يضربني بالسوط، ويقول: "خذها وأنا ابن الأكرمين". قال: فوالله ما زاده عمر أن قال له: "اجلس، ثم كتب إلى عمرو إذا جاءك كتابي هذا فأقبل، وأقبل معك بابنك محمد، قال: فدعا عمرو ابنه فقال: "أحدثت حدثا؟ أجنيت جناية؟"، قال: "لا"، قال: "فما بال عمر يكتب فيك؟"، قال: فقدم على عمر، قال أنس: فوالله إنا عند عمر حتى إذا نحن بعمرو، وقد أقبل في إزار ورداء، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه؟، فإذا هو خلف أبيه، قال: "أين المصري؟"، قال: "ها أنا ذا"، قال: "دونك الدرة فاضرب ابن الأكرمين، اضرب ابن الأكرمين".

قال: فضربه حتى أثخنه، ثم قال: أحلها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه، فقال: "يا أمير المؤمنين، قد ضربت من ضربني"، قال: "أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه، يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟!"، ثم التفت إلى المصري فقال: "انصرف راشدا فإن رابك ريب فاكتب إلي"[٥٣].

(٥٣) يوسف بن عبد الهادي المبرد. محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. نشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية– المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية– ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن ٤٧٣/٢.

والتزمت أجيال المسلمين بحسن معاملة أهل الكتاب، فعاشوا فترة الفتوحات الإسلامية تحت كنف الدولة الإسلامية مطمئنين آمنين من الظلم والاضطهاد الذي كانوا يعانونه من الفرس والرومان.

ففي **عهد الخليفة هارون الرشيد** بنيت المدارس والمعاهد لأهل الكتاب، وترجمت التوراة إلى اللغة العربية، وأعلن ابنه الخليفة المأمون حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر التامة لأهل الكتاب، وشاركت الدولة الفاطمية أهل الكتاب أعيادهم الدينية بإغلاق دواوين الدولة وتوزيع الهدايا والحلوى عليهم، وتمتع اليهود في الأندلس طيلة حكم المسلمين لها بحرية الاعتقاد، وفي العصر الأيوبي سُمح لكثيرين من اليهود الأوربيين بالهجرة إلى فلسطين والإقامة بها(٥٤).

ومواقف تسامح **صلاح الدين الأيوبي** مع أهل الكتاب أكثر من أن تحصى؛ لدرجة أن الغربيين انبهروا بإنسانيته أكثر من انبهارهم بخططه العسكرية. ففي معركة حطين فقدت سيدة مسيحية رضيعها، فأخبروها أن تذهب لصلاح الدين، فإنه رجل رحيم القلب، فأتته مستغيثة، فأمر بالبحث عنه وإحضاره، فوجدوه قد بيع في السوق، فأمر بدفع ثمنه إلى المشتري، ولم يزل صلاح الدين واقفا حتى رد الطفل إلى أمه، وأمر لها بفرس وألحقها بمعسكر الصليبيين(٥٥).

وفي الخلافة العثمانية: كان بعض من أهل الكتاب في جزيرة البلقان يعانون الاضطهاد والظلم والاستبداد من إدارتهم المحلية، فقد كان الكاثوليك يضغطون على الأرثوذكس ليغيروا مذهبهم إلى أن جاء الفتح العثماني لتلك الجزيرة، فمنعت

(٥٤) د/شكور الله باشا زاده. التسامح في الإسلام. بحث مقدم للمؤتمر الدولي السادس عشر لعام ٢٠٠٤. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. ص٤، ٥.

(٥٥) د. إبراهيم العدوي. نماذج تاريخية من التسامح الإسلامي. بحث ضمن المؤتمر الدولي للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية عام ٢٠٠٤ص٧.

(ISSN: 2536 - 9555)

ذلك وأعطت للأرثوذكس إمكانيات واسعة في حرية العقيدة والحياة، وعاشوا جنبا إلى جنب مع الأتراك المسلمين آمنين متمتعين بحقوقهم الشخصية تحت حكم المسلمين. كما استقبلت الدولة العثمانية اليهود الفارين من الأندلس"أسبانيا" وحمتهم من الاضطهاد. وأعطى السلطان العثماني لرهبان كنيسة سانت كاترين بجبل سيناء حرية الحركة وأمانا بعدم التدخل في شؤونهم الدينية والحفاظ على أوقافهم وتأمين وصول واردات الكنيسة إليها ومعافاتها من الضرائب والجمارك، مع الإذن لرجال الكنيسة بزيارة القدس، ورفع الظلم عنهم إذا تعرضوا إليه(٥٦).

والسلطان محمد الفاتح العثماني حين دخل القسطنطينية أعطى بطريركها سلطة داخلية على رعيته، وكان لا يتدخل في عقائدهم ولا عبادتهم، وكان مثالا للمسلم الحق الذي يتسع صدره للجميع، ويرى أنه من حق الناس أن يعبدوا الله أحرارا(٥٧).

شهادات أهل الكتاب بحسن معاملة المسلمين لهم:

بلغ تسامُح المسلمين وحكامهم مع أهل الكتاب وغيرهم من المخالفين في الدين أعلى درجاته منذ عهد النبي ﷺ وحتى الآن، لدرجة جعلت **المستشرق آدم ميتز** يشيد بتلك المعاملة مبينا حال أهل الديانات الأخرى في الدول الإسلامية بقوله: "أما الكنائس والبيع اليهودية فكانت دائما بمثابة دول أجنبية داخل الإمبراطورية الإسلامية"(٥٨) ومن قبله شهد لذلك **البطريرك "عيشويابه"** بقوله: "إن العرب الذين

(٥٦) د. محمد جورميز. موقف الدولة العثمانية ونظرتها المتسامحة تجاه منتسبي الأديان السماوية والمذاهب المختلفة. بحث مقدم للمؤتمر الدولي السادس عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية عام ٢٠٠٤ ص٨.٥.

(٥٧) د. محمد رشيد إبراهيم. التسامح الإسلامي بين النظرية والتطبيق. بحث مقدم للمؤتمر الدولي السادس عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية عام ٢٠٠٤ ص٨.٥.

(٥٨) د. شكور الله باشا زاده. التسامح في الإسلام. بحث مقدم للمؤتمر الدولي السادس عشر لعام ٢٠٠٤. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. ص٤، ٥.

مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون، إنهم ليسوا بأعداء للنصرانية، بل يمتدحون ملتنا، ويوقرون قديسنا وقسيسنا، ويمدون يد العون إلى كنائسنا وأديرتنا"(٥٩).

وذكر **القس "ميشون"** في كتابه "سياحة دينية في الشرق" قوله: "إنه من المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التسامح وحسن المعاملة، وهما أقدس قواعد الرحمة والإحسان عند الشعوب والأمم". وقال السير توماس آرنولد:" لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح"(٦٠).

وشهد بذلك أيضا **أحد الشعراء** مشيدا بعلو منزلة أهل الكتاب في البلدان الإسلامية بقوله:

يـــهود هـــذا الـــزمان قـــد بـــلغوا غايـــة آمالـــهم وقـــد ملـــكوا

العـــز فيـــهم، والمـــال عندهـــمو ومنهمـــو المستشـــار والملـــك

يـا أهـل مصـر إنـي نصـحت لكـم تـــهودا فقـــد تـــهود الفـــلك(٦١)

(٥٩) الشيخ محمد الغزالي. التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام. ص:٣٨.
(٦٠) د. أحمد الحوفي. سماحة الإسلام ص:٨٢-٨٤، نقلا عن زكي أبو غضة. الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة. طبعة ٢٠٠٢ ص١٧٥.
(٦١) الشيخ محمد الغزالي. التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام.ص٤٦

(ISSN: 2536 - 9555)

وبذلك الاندماج والتعايش بين المسلمين وبين أهل الكتاب لم يعد هناك وجود لمصطلح "الذميين" وحل بدلا منه مصطلح "المواطنة" فصار انتماء الأفراد للدولة يعبر عن وحدتهم وتآلفهم بغض النظر عن اختلاف دياناتهم. ففي مصر يعيش المسيحيون واليهود والمسلمون متآلفين منذ ١٤٠٠ سنة تحت حكم السلطات المتعددة، واستطاعت كل جماعة منهم أن تحافظ على كيانها الديني والثقافي، وكذلك الحال في سائر البلدان الإفريقية.

وقد عبر عن هذا التآلف والانسجام والوحدة الوطنية بين المصريين على تنوع دياناتهم العديد من الشعراء المسيحيين، منهم: **الشاعرة لورا الأسيوطي**، في قصيدة لها تقول:

النـاس فـي مصـر أحـرار سواسـية ومثـل عمـرو بهـا أدنـى رعاياهـا

والمسـلمون بهـا والقـبط يجمعهـم مـودة وإخـاء زادهـا جاهـا

وكـم مـن القـبط فيهـا هـزهم طـرب لـدى سـماع هُـدىً مـوحىً إلـى طـه

مـن خيـرة القـبط فيهـا اختـار ماريـة وأنـجبـت منـه إبراهيـم زكـاهـا

والقـبط أوصـى بهـم خيـرا فكـان لهـم عمـرو رفيقـا بمصـر إذ تولاهـا

وقـدروا العـدل فيهـا سـنَّه عمـر فـي حكمـه وبـه كـل امرئ بـاهَى[٦٢]

(٦٢) سعد الدين كمال. سيدنا محمد في عيون شعراء النصارى في العصر الحديث. رسالة ماجستير. كلية اللغة العربية. إيتاي البارود سنة٢٠٠٤ ص١٠٢.

ويقول **الشاعر المسيحي رشيد خورشيد،** معبرا عما يفيض به قلبه بالحب الأخوي للمسلمين، ومستشعرا الأخوة الدينية بين عيسى ومحمد عليهما السلام:

عيــد البريــة عيــد المولــد النبــوي فـــي المشرقـيـــن والمغربيـــن دوِي

يـــا قـــوم هـــذا مســـيحي يـــذكركم لا يُـنهِضُ الشـرقَ إلا حبُّنـا الأخـوِي

فـــإن ذكـــرتم رســـول الله. تكرمـــةً فبلغـوه ســلام الشـاعـر القَـرَوي(٦٣)

بهذا يظهر أن النبرة العدائية لأهل الكتاب المسالمين من جانب بعض المسلمين المتشددين، وكذلك النبرة العدائية من جانب من بعض أهل الكتاب المتعصبين الذين يرفعون أكذوبة اضطهادهم بقصد الفتنة الطائفية، كل ذلك لا يعبر عن الواقع الحقيقي وعن مشاعر كل من عامة المسيحيين وسائر المسلمين تجاه بعضهم البعض.

لذلك فإننا نقترح تدريس موقف الإسلام من العقائد الأخرى لأبنائنا في المدارس الابتدائية والإعدادية، مبينين مواقف التسامح مع أهل الكتاب، والمنهج الإسلامي في معاملتهم، وكيفية التعامل مع المسيئين منهم ومع المسيئين إليهم من المسلمين؛ حتى يشب أبناؤنا على ثقافة التسامح والتعايش مع أهل الكتاب مقتدين بالعهد الأول للنبوة والخلفاء الراشدين ومن تلاهم من أسلافنا الصالحين . رضي الله عنهم أجمعين؛ وحتى لا يتأثر أبناؤنا بالدعوات المناهضة لأهل الكتاب والداعية إلى إساءة معاملتهم أو مفارقتهم. فليست العلاقة مع أهل الكتاب قائمة على الكراهية والعداء كما يظن البعض. فقد كان لدى الأجيال السابقة فهم عالي

(٦٣) السابق. ص ٨٦.

(ISSN: 2536 - 9555)

للتعامل مع أهل الكتاب واحتوائهم، وعدم الالتفات إلى المواقف الشاذة في التعامل معهم. كاستنكار رد السلام عليهم أو الدعاء لهم.

فعن أبي بكر الهذلي، قال: سلم نصراني على الشعبي، فقال له الشعبي: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. فقال له رجل من المسلمين: سبحان الله! تقول لهذا النصراني: ورحمة الله؟! فقال الشعبي" أليس في رحمة الله يعيش؟!(٦٤).

وذلك من نهج النبي ﷺ فقد كان ﷺ يدعو للمخالفين له في الدين لا عليهم، فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قال: جاء الطُّفَيْلُ بن عمْرٍو إلى النبي ﷺ، فقال "إنَّ دوْسًا قد هلَكَتْ. عصَتْ وأَبَتْ. فادْعُ اللهَ عليهم"! فقال النبي ﷺ: "اللهم اهدِ دوْسًا وأْتِ بهِمْ"(٦٥).

والجدير بالذكر التنبيه على أن المعاملة مع أهل الكتاب لا تهدف إلى إظهار سماحة الإسلام فحسب، بل إلى دعوتهم إلى الحق ورجاء دخولهم الإسلام. فالإسلام بشكل عام يهدف إلى تآلف الناس ودعوتهم إلى الهدى لا إلى قتالهم. وقد نبه النبي ﷺ سيدنا علي ﷺ إلى هذا الأمر يوم فتح خيبر، عندما قال له سيدنا علي ﷺ نقَاتِلُهُمْ حتى يَكونُوا مثْلَنَا؟ فقال ﷺ: "على رسْلِكَ حتى تَنْزلَ بسَاحَتِهِمْ ثمَّ ادْعهُمْ إلى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهمْ بمَا يَجبُ عليهم، فوَ اللَّهِ لأَنْ يهْدَى بكَ رَجلٌ وَاحدٌ خَيرٌ لك من حمْرِ النّعَمِ"(٦٦).

(٦٤) الألوسي. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. نشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت ١٠٠/٥.

(٦٥) صحيح البخاري "باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم" رقم (٢٧٧٩) ١٥٩٦/٤.

(٦٦) صحيح البخاري "باب رجل واحد خير لك من حمر النعم" رقم (٢٧٨٤) ١٠٧٧/٣.

خاتمة

تبين من خلال هذا البحث، أن من طبيعة الدين الإسلامي الانفتاح على الآخرين والتعايش معهم مهما اختلفت عقائدهم ومللهم، وأن مجتمع المسلمين لم يخل في عصر من العصور من وجود المخالفين للمسلمين في العقيدة والدين. وقد تضافرت الأدلة الشرعية على وجوب التعايش مع سائر هؤلاء المخالفين ومعاملتهم بالإحسان. لدرجة أنه صار لغير المسلمين أحكام خاصة في الشريعة الإسلامية عرفت لدى الفقهاء بأحكام وحقوق وواجبات الذميين والمستأمنين(٦٧)، وتنوعت تلك الحقوق ما بين حقوق سياسية، كتوليهم الوظائف في الدولة، وحقوقهم في الانتخاب وحق الترشح للوظائف العامة، وحقوق عامة، كالحرية الدينية وحرية العمل وحرية التعبير عن الرأي، وحقوق خاصة، كحرمة دمائهم وأموالهم ومساكنهم. فصارت تلك الحقوق والأحكام الشرعية من الواجبات التعبدية المفروضة على المسلمين، والتي ينبغي عليهم تطبيقها والالتزام بها.

وأننا لا نزال بحاجة أن يشمر الباحثون والمؤلفون عن ساعديهم؛ لإماطة اللثام عن النماذج المشرقة في تاريخنا الإسلامي عن الطرق والوسائل المثلى لمعاملة غير المسلمين، والتعايش معهم.

---

(٦٧) وتلك الأحكام الخاصة بأهل الكتاب والمستأمنين متناثرة بكثرة في مصنفات فقهاء الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة. ككتاب المبسوط لأبي بكر السرخسي، وكتاب الخراج للإمام يحي بن آدم القرشي، وكتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين الكاساني، وكتاب الأم للإمام الشافعي، وكتاب المغني لابن قدامة، وكتاب المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس.، والسياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية. ومن العلماء من أفرد لأحكام الذميين مصنفات خاصة، ككتاب أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية، وكتاب المذمة في استعمال أهل الذمة للإمام محمد بن علي النقاش وغيرها.

(ISSN: 2536 - 9555)

المصادر والمراجع

١. **د. إبراهيم العدوي**. نماذج تاريخية من التسامح الإسلامي. بحث ضمن المؤتمر الدولي للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية عام ٢٠٠٤.

٢. **ابن هشام**. السيرة النبوية، نشر: دار الجيل- بيروت- ١٤١١، الطبعة: الأولى، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد.

٣. **أبو بكر البيهقي**. دلائل النبوة. نشر: دار الكتب العلمية- دار الريان للتراث- بيروت – القاهرة- ١٤٠٨- ١٩٨٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: **د. عبدالمعطي قلعجي**.

٤. **أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني**، مصنف عبد الرزاق. "باب اتباع المسلم جنازة الكافر" برقم ٩٩٢٦. نشر: المكتب الإسلامي- بيروت- ١٤٠٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

٥. **أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي**، المصنف في الأحاديث والآثار. حديث رقم (٣١٨٠٢) نشر: مكتبة الرشد- الرياض- ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

٦. **أبو الحسن النيسابوري**. أسباب النزول ت الحميدان. نشر: دار الإصلاح- الدمام- ١٤١٢هـ- ١٩٩٢، الطبعة: الثانية، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان.

٧. **الألوسي**. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. نشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٨. **عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي**. تفسير ابن أبي حاتم تفسير، نشر: المكتبة العصرية- صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب.

٩. **البيهقي**. سنن البيهقي الكبرى. "باب من سقى رجلا سما" رقم ١٥٧٨٧ نشر: مكتبة دار الباز- مكة المكرمة- ١٤١٤هـ- ١٩٩٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

١٠. **ابن تيمية**. كتب ورسائل وفتاوى. نشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ١٠٩/٤، وأبو الحسن بن بطال

البكري القرطبي. شرح صحيح البخاري، نشر: مكتبة الرشد- السعودية/الرياض- ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

١١. **أبو داود السجستاني.** سنن أبي داود، "باب في التشديد في جباية الجزية" حديث رقم (٣٠٥٢) نشر: دار الفكر- بيروت، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

١٢. **تقى الدين أحمد بن على المقريزى.** إمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع. نشر: دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤٢٠-١٩٩٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عبد الحميد.

١٣. **سعد الدين كمال.** سيدنا محمد في عيون شعراء النصارى في العصر الحديث. رسالة ماجستير. كلية اللغة العربية. إيتاي البارود سنة ٢٠٠٤.

١٤. **د. شكور الله باشا زاده.** التسامح في الإسلام. بحث مقدم للمؤتمر الدولي السادس عشر لعام ٢٠٠٤. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

١٥. **الطبري. محمد بن جرير.** تاريخ الطبري دار الكتب العلمية- بيروت.

١٦. **عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي،** الجواهر الحسان في تفسير القرآن. نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت.

١٧. **العسقلاني (ابن حجر)** الإصابة في تمييز الصحابة. نشر: دار الجيل- بيروت- ١٤١٢- ١٩٩٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي.

١٨. **ابن قدامة المقدسي.** المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل. نشر: دار الفكر- بيروت- ١٤٠٥، الطبعة: الأولى.

١٩. **د. محمد طاهر القادري:** شيخ الإسلام. خطبة المؤتمر الدولي بعنوان: السلام والاندماج وحقوق الإنسان، لندن ٢٠١٠.

٢٠. **محمد بن جرير الطبري.** جامع البيان عن تأويل آي القرآن، نشر: دار الفكر- بيروت- ١٤٠٥.

٢١. **محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري،** المستدرك على الصحيحين. باب "تفسير سورة الممتحنة" حديث رقم (٣٨٠٤) نشر: دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

(ISSN: 2536 - 9555)

٢٢. د. **محمد جورميز**. موقف الدولة العثمانية ونظرتها المتسامحة تجاه منتسبي الأديان السماوية والمذاهب المختلفة. بحث مقدم للمؤتمر الدولي السادس عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية عام ٢٠٠٤.

٢٣. د. **محمد رشيد إبراهيم**. التسامح الإسلامي بين النظرية والتطبيق. بحث مقدم للمؤتمر الدولي السادس عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية عام ٢٠٠٤.

٢٤. **الشيخ محمد الغزالي السقا**. التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام. نشر دار الكتاب العربي مصر.

٢٥. **الإمام مسلم بن الحجاج صحيح الإمام مسلم** "بابا المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع" رقم ١٥٥١. نشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت– تحقيق: **محمد فؤاد عبد الباقي**.

٢٦. **نبيل لوقا بباوي**. حرية العقيدة في الإسلام لغير المسلمين. بحث مقدم للمؤتمر العام السادس عشر سنة ٢٠٠٤م للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

٢٧. **اليعقوبي**. تاريخ اليعقوبي. نشر: دار صادر– بيروت.

٢٨. **يوسف بن عبد الهادي المبرد**. محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. نشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية– المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية– ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: **عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن**.

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B9%D8%A7%D9%87%D8%AF%D8%A9_%D8%A7%D9%8%D8%AF%D9%81%D8%A7%D8%B9_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D8%AA%D8%B1%D9%83 .

بتاريخ ٢٣ :١١: ٢٠٢٠. السلعة الواحدة ظهرا.